الأراضي الزّراعيّة والحرب بالمغرب الأوسط خلال العهد الزّياني
"سياسة إحراق الأراضي الزّراعيّة وتخريبها أنموذجا"

Agricultural lands and war in the middle Maghreb during the Zianid era"The policy of burning lands and destroying them as a model"

زيتوني بلال[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–
b.zitouni@univ-emir.dz
أ.د. عابد يوسف
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–
Youcef.abedd@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/05/15 القبول 2021/04/19 النشر على الخط 2021/10/30
Received 15/05/2020 Accepted 19/04/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى استحضار سياسة استنزاف الموارد الإنتاجيّة الزرّاعيّة كحالة مرافقة للحرب في المغرب الأوسط خلال العهد الزّياني، وضروب تفعيلها ومدى فاعليّتها في الاستراتيجيّات الحربيّة؛ من خلال حصر أهم المدن الّتي طالتها أعمال التّحريق والتّخريب خلال حروب هذا العصر، قصد تقديم رؤية شاملة تتجاوز معايير تحقيق الغلبة ومحدّداتها المرهونة بتعداد الجيش وعدّته. وقد أسفرت هذه الدّراسة عن مدى انتهاج القادة العسكريّين لها في خططهم العسكريّة كدعامة رافدة للمنظومة الحربيّة، وكشرط أساسي لا يقلّ أهمّية عن المعايير الأخرى الرّامية إلى تحقيق النّصر خلال الحروب والمعارك.

الكلمات المفتاحية: الحرب– العهد الزّياني– الأراضي الزّراعية– إحراق– تخريب.

Abstract:

This paper aims to evoke the policy of depleting agricultural productive resources as a case accompanying the war in the Central Maghreb during the Zayanid era, and its activations in the war strategies. By restricting the most important cities that were affected by the acts of burning and sabotage during the wars of this era, in order to provide a global comprehensive vision that exceeds the criteria for achieving victory and its limitations dependent on the number of the army and its equipment , and this study has resulted in the extent to which military leaders have adopted this policy in their military plans as a tributary pillar of the military system, and as a primary condition just as important as other criteria for victory during wars and battles.

Keywords: war – zianid era – agricultural lands – inceneration – destruction.

[1] المؤلّف المرسل: زيتوني بلال البريد الإلكتروني: **b.zitouni@univ-emir.dz**

مقدّمة:

إنّ التّطور الحاصل في المناهج العلميّة المعاصرة كفيل بإعادة تشكيل بعض ملامح التّاريخ العسكريّ في المغرب الإسلاميّ عموما، وتاريخ المغرب الأوسط خلال العهد الزّياني على وجه التّخصيص، إذ أنّ بروز بعض التّخصّصات المعاصرة كالجغرافيا العسكريّة وعلم الاجتماع والنّفس العسكريّين، وغيرها من التَّخصُّصات الحديثة يضع الباحث أمام تقديم فرضيّات جديدة تتجاوز تفسير إخفاقات الجيوش وانتصارها وفقا لعامل التَكميم ومعايير العدّة والعتاد، فغالبا ما يتحدّد مسار كسب رهان الحرب بالاستراتيجيّات العسكريّة المسطّرة، وفاعليّة سياسة التّدبير الحربيّ، ومدى تطبيق هذه الاستراتيجيّات والتّدابير في ميدان الحرب، مما يُنِم عن وجود علاقة تلازميَة بين حالة الحرب والمجال الجغرافيّ، تفضي هذه العلاقة – في ثوب التَناسج بين التَأْثِير والتَّأَثُّر– إلى مجموعة من التَّفاعلات بينهما، ذلك أنّ العمليّات العسكريَة تجري في بيئات مختلفة كالأراضي والصَّحاري والتّلال وغيرها، ممّا يجعلها هدفا مباشرا باعتبارها مسرحا للحرب، وبالموازاة مع ذلك فإنّ المجال الجغرافيَ غالبا ما يكون مُحرّضا للحرب، حيث أنّ الحرب في أحد صورها تُعدُّ مشروعا اقتصاديّا يهدف إلى استنزاف الثَّروات وتثبيط ديناميّة القطاعات الإنتاجيَة.

لقد أدّت الاضطرابات السّياسيّة الّتي آلت بدورها إلى التّدخل العسكريّ في المغرب الأوسط خلال العهد الزّياني إلى إفقار موارده الإنتاجية، وجعلت هذا المجال عرضة لإفرازاتها وتبعاتها الّتي ألقت بأوزارها على مختلف القطاعات الإنتاجيّة وفي مقدّمتها الأراضي الزّراعيّة، باعتبارها مقوما ودعامة –طبيعيّة– استندت إليها القوى المتصارعة لإدارة حيثيّات الحروب، وعليه فقد أولى القادة العسكريُّون خلال الحروب الّتي كان المغرب الأوسط إطارا حاضنا لها بالغ اهتمامهم لتفعيل السّياسات والتّدابير الحربيّة المتعلّقة باستنزاف الأراضي الزّراعيّة، وإردافها غالبا بعمليّات التّخريب والتّحريق، كمعيار للنّصر وشرط من شروط تحقيق الغلبة.

في هذا الإطار؛ وأمام هذه المنطلقات تَنْصَبُّ إشكاليّة هذه الدّراسة في ما يلي:

إلى أيّ مدى ساهمت سياسة استنزاف الموارد الإنتاجيّة الزّراعيّة المصاحبة لحالة الحرب خلال العهد الزّياني في ضمان فاعليّة العمليّات العسكريّة ؟.

تتمفصل إشكاليّة هذه الدّراسة في التّساؤلين الآتيين:

ما هي المرجعيّات الّتي غذّت هذه السّياسة الحربيّة ؟ وما هي أهم المدن الّتي طالتها أعمال حرق وتخريب الأراضي الزّراعية خلال هذه الفترة ؟

1. سياسة إحراق الأراضي الزّراعيّة بالمغرب الأوسط الزّياني ... المرجعيّات والمغذّيات:

تعتبر سياسة إحراق الأراضي الزّراعيّة وتخريبها مذهبا في الحرب تحاول من خلاله الأطراف المتحاربة إعاقة حركة العدوّ وإضعافها؛ عن طريق تدمير وسائل التّموين وطرق المواصلات لديه، وكلّ شيء يمكن أن يُعتبر ذا قوّة للعدوّ، ويمكن أن تُستخدم هذه الاستراتيّجية إمّا من قبل قوّة متقهقرة لعرقلة تقدّم العدوّ، أو من قبل الجيش –نفسه– خلال الصّدامات العسكريّة المباشرة.[1]

[1] يحي نبهان، معجم مصطلحات التّاريخ، دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن،2008، ص173.

لا مراء أنّ ظاهرة استنزاف الموارد الإنتاجية وإحراق الأراضي الزّراعيّة المصاحبة لحالة الحرب في المغرب الأوسط الزّياني، لم تكن ظاهرة سابقة لأوانها وإنّما هي خلاصة تراكمات لتجارب حربيّة، وسياسات عسكريّة، وخطط ترمي في مجملها إلى فرض أكبر قدر من الضّغط المباشر على العدوّ، وذلك بتدمير وسائل المقاومة –الطّبيعية– لديه[1]، حتّى تسهل السّيطرة عليه، بما يتماشى واستراتيجيّات الحرب النّفسيّة، وإردافها غالبا بسياسات حربيّة تعتمد على عامل التّجويع، وقد عبّر ابن خلدون عن ذلك بقوله : " ... وأمّا إذا كانت المَلَكَةُ وأحكامها بالقهر والسَّطو، فتكسر حِينئذٍ من صورة بأسهم وتُذهب المنعة عنهم لِما يكون من التَّكاسل في النُّفوس المضطهدة"[2]، وقَعَّدَ له جوزيه دي كاسترو في قوله: " ... ليس هناك كارثة أخرى تحطّم شخصيّة الإنسان وتدمّرها كما يفعل الجوع"[3]، وفي تشخيص أكثر دقّة يربط برنشفيك بين ثنائيّة التّخريب والاستسلام من خلال استهداف الموارد الإنتاجيّة خلال الحروب والمعارك بقوله: " وتكون حرب الحصار متبوعة بأعمال تخريب فظيعة: مثل قطع الأشجار وإتلاف المحاصيل الزّراعية... وذلك لا فقط بسبب إضمار الشرّ، بل للتّأثير في الضّحايا الّذين يشاهدون أعمال التّخريب المذكورة من بعيد وحثّهم على الاستسلام في أقرب وقت"[4]. وتجسّد هذه الآراء على اختلاف سياقاتها الزّمنية تجليّات هذه الظّاهرة الحربيّة في العصر الوسيط واستمرارها إلى غاية هذا العصر–حسب ما قدّمه جوزيه دي كاسترو– الأمر الّذي يعكس حالة التّواصل بين الماضي والحاضر.

لمّا كانت الدّولة الزّيانية من بين أكثر الدّول الّتي قامت على أراضيها الحروب، فإن القرائن المصدريّة ونصوص المراسلات السّلطانيّة[5] أكدّت على انتهاج القادة العسكريّين لهذه السّياسة الّتي ألقت بظلالها على هذا العصر، مستندة في ذلك إلى عمليّات تخرّيب الأراضي الزّراعية وإحراقها في المغرب الأوسط الزّياني، إذ نجد العديد من التّوصيفات تحمل دلالات التّخريب والإحراق لأراضيه مثل: "ومرّ بفساسيطه فأضرمها نارا"[6]، "وشنّ الغارات على البسائط فاكتسحها سبيا ونسفها نسفا"[7]، " قطعوا الثّمار والجنّات و خرّبوا الرّباع وأفسدوا الزروع"[8]، "دوّخ قاصيتها ... وخطم زرعها"[9]، "وبقي يرتحل في أحوازها ويأكل زروعها...ويخرّب قراها"[1]، "قطعوا الثّمار ... وأفسدوا الزّروع "[2].

---

[1] سمير ذياب سبيتان، الجغرافيا العسكرية، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن،2012،ص27.

[2] عبد الرحمان إبن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي،بيت الفنون والعلوم والاداب،الدار البيضاء، المغرب،2005،ج1، ص2021.

[3] جوزيه دي كاسترو، جغرافية الجوع، ترجمة زكي الرشيد، مراجعة محمود موسى، دار الهلال، 1946، ص 59.

[4] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن م13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988، ج2، ص 93.

[5] أفصحت الرّسائل الديبلوماسيّة بين السّلاطين الزّيانيين و سلاطين مملكة أرغون على استخدام منتجات الأراضي الزّراعيّة كوسيلة ضغط وكمحور تدار عليه العلاقات السّياسيّة وترتهن به وتركن إليه حالتي السّلم والحرب. انظر الملحق رقم 01.

[6] عبد الرحمان بن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان،2000،ج7، ص244.

[7] المصدر نفسه، ص245.

[8] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،صور للطباعة والوراقة،الرباط،1972، ص311.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ص123.

كما يلاحظ أيضا أنّ السّلاطين والقادة العسكريّين لم يتوانوا في تطبيق هذه السّياسة في المغرب الأوسط الزّياني خاصّة خلال القرنين السّابع والثّامن للهجرة (13-14م)، وتشدّدوا في تطبيقها إلى أقصى الحدود، وأوعزوا كلّ الإيعاز لجيوشهم استهداف الأراضي الزّراعية، ففي الحصار الطّويل لتلمسان (698هـ-706هـ/1298-1306م) أردَفَ أبو يعقوب يوسف المريني حصارهُ العسكريّ بهذه الاستراتيجيّة "وهو في كلّ ذلك يُشدِّدُ عليهم الحصر ويقول لأواصلنّه عليهم حتّى أقتلهم جوعا"[3]، كما أنّ أبا يوسف بعد تخريبه لوجدة نهض سنة 670هـ/1271م "إلى تلمسان فحاصرها أيّاما وأطلق الأيدي في ساحتها بالنّهب والعيث، وشنّ الغارات على البسائط فاكتسحها سبيًا، ونسفها نسفًا"[4]، إضافة إلى ذلك فإنّ أبا حمو موسى الثّاني قام في حملته على المخالفين له بتيطري سنة 771هـ/1370م باتّباع سياسة إتلاف الأراضي الزراعيّة والاستيلاء عليها[5]، ويقدّم لنا صاحب كتاب زهر البستان قرائن أكثر دقّة حول قادة مغارب العصر الوسيط خلال العهد الزيّاني واعتمادهم على سياسة تخريب الأراضي الزّراعية خلال حالة الحرب لإضعاف العدوّ خلال سنوات (760-764هـ/1358-1362م)، ومن ذلك ما كتبه أهل الجزائر للقائد أبو سالم طلبا لنصرته " فكان قائد البلد يكتب بضعف بني عبد الواد ... ويقولون له أنّهم أسرّوا البلاد، وحرّقوا البياد، فلو طلّت على أهل البلاد راياتك العليّة، لهرعت لخلافتك الرّعيّة"[6]، وقد كانت الوطأة أشدّ عند حلول أبي سالم لأطراف تلمسان وتزامُنِ ذلك مع خروج أبي حمو موسى الثاني للمغرب، "فهذا طالب للبلاد الشّرقيّة وهذا زاحف للبلاد الغربيّة. وهذا قاصد للتّمهيد، وهذا قاصد للتّخريب والتّنكيد"[7]، والملاحظ أنّ الجيوش الحفصيّة قد انتهجت أيضا نفس السّياسة بأوامر مباشرة من القادة العسكريّين، وهو ما نتحسّسه في خطاب أبو إسحاق إبراهيم الحفصي (751-770هـ/1350-1368م) الّذي " أوعز إليهم بتدويخ ضواحي بونة واكتساح نعمها"[8] سنة 769هـ/1367م .

تبّين المؤشّرات السّابقة مدى اعتماد هؤلاء القادة على سياسة استنزاف الأراضي الزّراعيّة، مما يستدعي الاسترسال عند هذه القرائن لاستجلاء المرجعيّات الّتي لعبت دور المغذّي لهذه السّياسة، وهيّأت اللّبنات الأساسيّة لِما آل إليه واقع الأراضي الزّراعيّة في المغرب الأوسط الزّياني خلال فترات الحرب ؟.

1.1. المرجعيّات التّاريخيّة لسياسة الأرض المحروقة بالمغرب الأوسط وعلاقتها بحرب استنزاف الأراضي الزّراعيّة في العهد الزّياني:

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص379.

[2] ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،الرباط،1973، ص132.

[3] أبو الوليد اسماعيل المعروف بابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص50.

[4] ابن خلدون، المصدر السّابق، 245.

[5] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، قديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ج2، ص217.

[6] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيّان، تقديم محمد بن أحمد باغلي، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة 2، 2011، ص 96.

[7] المصدر نفسه، ص98.

[8] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص553.

تستوقف الباحث في التّاريخ العسكريّ للمغرب الأوسط والمتتبّع لكرونولوجيا ظاهرة إحراق الأراضي الزّراعية وتخريبها العديد من النّماذج والكثير من المعطيات حول الممارسات المتعلّقة بهذه الظّاهرة، فقد قامت الكاهنة –حسبما ورد في المصادر- أثناء حروبها مع حسّان بن النّعمان (76-77هـ/695-696م) بتخريب بغاية ونهبها كما انتهجت سياسة تخريب المزروعات واستهداف الأشجار المثمرة[1]، لتستمرّ هذه الاستراتيجية مع حروب العبيديّين، بين قوّات أبي عبد الله و الأحول بن إبراهيم بن الأغلب سنة 296هـ/908م في ميلة إذ "ملك الأحول مدينة تاصروت، وأحرقها وأحرق مدينة ميلة"[2]، ولم يمض وقت طويل حتّى قام أبو عبد الله باستهداف زروع تاهرت الرّستمية حسبما يوضحّه الدّرجيني بقوله: و"دخل المدينة فانتهبها ... وأهلك الحرث والنّسل"[3]، كما أنّ المغرب الأوسط لم يسلم من الشّرخ الّذي أحدثته حروب قبائل زناتة، وهو ما أكّد عليه ابن خلدون بقوله: "وأظهرت زناتة الفساد وأضرّوا بالسّابلة وحاصروا المسيلة"[4] سنة 395هـ/1004م، وقد استمرّت هذه الأعمال التّخريبيّة إلى مرحلة لاحقة حيث أسفرت الحرب بين باديس وعمّه حمّاد سنة 406هـ/1015م عن "سفك الدّماء وقتل الأطفال وإحراق الزّروع"[5]، كما تعدّدت القرائن[6] الدّالة على استفحال هذه الظّاهرة وتفشّيها خلال حالة الحرب في العصرين المرابطي والموحّدي.

على ضوء هذه المعطيات يمكن تقديم ظاهرة استنزاف الأراضي الزّراعيّة المرافقة لحالة الحرب في المغرب الأوسط الزّياني على أنّها نموذج تقليد وإعادة إنتاج لتجارب حربيّة سابقة في المغرب الأوسط، وإن لم يكن لها تأثير مباشر على الخراب الّذي طال الأراضي الزّراعيّة بالمغرب الأوسط الزّياني، إلّا أنّها شكّلت بمحدّداتها الجغرافيّة إرثا تاريخيا وعسكريّا ساهم في استمرار سياسة الأرض المحروقة إلى غاية هذا العهد، ويوضّح ابن خلدون أثر جملة التّراكمات الحربيّة النّاجحة في التّأسيس لإعادة إنتاج نماذج تقليد، في فصله في المقدمّة الموسوم بـ: "في أنّ المغلوب مُولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه، ونحلته وسائر أحواله"، إذ يرى أنّ : " هذا راجع للأول فلذلك ترى المغلوب يتشبّه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتّخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله ... حتّى لقد يستشعر من ذلك النّاظر بعين الحكمة أنّه علامة الاستيلاء"[7].

2.1 مصنّفات المدرسة العسكريّة الإسلاميّة –مؤلّف واسطة السلوك لابن حمو موسى الزّياني أنموذجا-:

[1] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي –القرن الأول والثاني هجري/السابع والثامن ميلادي-، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2008،ص32.خميسي بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي عند المرابطين والموحدين، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، إشراف كمال بن مارس، جامعة الحاج لخضر، قسم التاريخ وعلم الآثار، باتنة، 2013م-2014م، ص 114.

[2] تقي الدين بن علي المقريزي، اتعاظ الحنافا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال،مطابع الأهرام التجارية، مصر، الطبعة 2، 1996، ج1، ص58. أبو الحسن علي ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987، ج6، ص452.

[3] أبو العباس أحمد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاى، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974، ج1، ص94. محمد عيسي الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الداخلية والخارجية بالمغرب والأندلس(160هـ-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987،ص231.

[4] ابن خلدون، العبر، المصدر السّابق، ص 209.

[5] ابن الأثير ، مصدر سابق، ج8، ص86.

[6] حول مظاهر إحراق الزرع في العصرين المرابطي والموحدي أنظر : خميسي بولعراس، مرجع سابق، ص 114-115.

[7] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص ص 242،243.

لعبت المدرسة العسكريّة الإسلاميّة دورا بالغ الأهميّة في التّنظير للسّياسات والإستراتيجيّات الحربيّة، كما ألحّت في متونها على تفعيل سياسة التّضييق على الأراضي الزراعيّة والفدن والمسارح والأحواز طلبا للنّصر خلال المعارك والحروب، ولا شكّ أنّ الفترة الممتدة من أواخر القرن الخامس هجري حتّى نهاية القرن السّادس هجري (10-12م) شكلّت فضاءً خصبا للإنتاج المعرفيّ المتّعلق بالفكر السّياسي ذو الطّابع العسكريّ، و المؤلّفات الّتي حملت في متونها الأخبار المتعلّقة بأخلاق الملوك والسّلاطين وآدابهم، ومنها كتاب "التّبر المسبوك في نصيحة الملوك" لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)، وكتاب الطّرطوشي (ت1121/520م) –السّالف الذّكر- "سراج الملوك"، وكتاب "المنهج المسلوك في سياسة الملوك" لعبد الرحمان الشّيرزي (ت589هـ/1194م) و"سلوان المطاع في عدوان الأتباع" لابن ظفر الصّقلّي (ت570هـ/1174م)، وتظهر بصمة هؤلاء جليّة في كتاب أبي حمو موسى الثاني "واسطة السّلوك في سياسة الملوك" إذ جاء عنوانه على نفس سياق عناوين الكتب السّابقة، فضلا عن ذلك فإنّ طريقة طرحه لأفكاره وأرائه لم تختلف عن طريقة طرح سابقيه، وهو الرأي الّذي استقرّ عليه الدكتور محمود بوترعة –وهو محقّق كتاب واسطة السّلوك- كون أبو حمو موسى الثاني قد استأنس بهذه المصنّفات عند تأليفه لكتابه[1]، ممّا يرجّح إمكانية استفادة السّلطان الزّياني أبو حمو في مادّته المتعلّقة بالسّياسات الحربيّة الواردة في كتابه واسطة السّلوك بناءً على المصنّفات السّابقة.

وعلى غرار الشّكل فإنّ مضامين مادّة واسطة السّلوك المتعلّقة بسياسة التّضييق على الأراضي الزّراعيّة نجدها-على سبيل المقارنة- تتماشى والمصنّفات العسكريّة الإسلاميّة وقد يثبت النّزر اليسير من القرائن ذلك :

- قال أبو حمو في الواسطة: "... قالت الحكماء ضرب لازم أنّ كلّ محسور مقهور وحاله سائر لتبور"[2] ولا نستبعد أن يكون هذا التّنظير هو نفسه الّذي عبّر عنه الحسن العبّاسي (ت 710هـ-1310م) قبله بقوله: "و كلّ موضع يمكن قطع الماء والميرة عنه فهو مأخوذ لا محالة"[3]، خاصّة إذا سلّمنا بقول صاحب بلاط أبي حمو في سفره الثاني الّذي أرّخ للدولة الزّيانيّة من سنة 759هـ إلى إلى غاية 764هـ/1358-1362م القائل: "...أعلم أنّ المولى أبو حمو قد جمع دهاء الملوك الأوائل"[4]، علاوة عن ذلك فإنّ الفارق الزّمنيّ بين تأليف الحسن العباسي لكتابه وتأليف أبي حمو لواسطة السّلوك ضئيل وهذا ما قد يتيح إمكانيّة استفادته من هذا المؤلَّف في مادّة كتابه واسطة السّلوك حول سياسة الاستنزاف خلال حالة الحرب.

- أوصى أبو حمّو ابنه بتلافي الهزيمة خلال حالة الحرب وذلك باتبّاع سياسة الاستنزاف والتّحريق للموارد الطّبيعيّة في فصله الموسوم بـ "أقسام أعداء الملك"، وبيّن الضّوابط الّتي يلتزم بها جيشه سواء كان هازما أو مهزوما[5]، ويتّضح ذلك في قوله: "وهكذا كان حالنا مع عدّونا أبي سالم حينما رأينا أنّه إلى بلادنا قادم؛ وكيف ذلك يابنيّ: ... لما توغّل أبو سالم في البلاد وظنّ أنّه بلغ غاية المراد واستقرّ بدار تلمسان ...أتينا على حصونها نخرّب ونهدّم ونحرق ونسلب"[6]، والملاحظ أنّ المصنّفات المذكورة سابقا حَوَت

[1] أبو حمو موسى الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود بوترعة، دار الشيماء ودار النعمان للنشر، الجزائر، 2012، ص36-39.
[2] المصدر نفسه، ص181
[3] الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمان عميرة، دار الجيل ، بيروت، 1989، ص364.
[4] مجهول، مصدر سابق، ص132.
[5] أبو حمو موسى، مصدر سابق، ص171.
[6] المصدر نفسه، ص 181-182.

حَوَت بين دفتّيها فصولا ومضامين مشابهة، حيث عقد الحسن العبّاسي بابا في "الكسر والهزيمة وما يفعله الهازم والمهزوم" كما شدّد على الطّرف الغالب استيفاء البلد بعد تخريبه " وعمارة ما خرّب وغرس ما قطع من الأشجار"[1] بعد الانتهاء من المعركة.

- نوّه ابن منكلي لحيل الحرب وإلى العوامل المتحكّمة في كسب المعركة أو خسارتها، وفي مقدّمتها المناخ إذ تختلف حسبه معطيات المعركة بتغيّر المناخ في فصل الشّتاء والصيف[2]، وهذا ما نرصد له وقعا في مصنّف واسطة السّلوك، إذ نجد أبا حمو في كتابه يولي بالغ الأهميّة للمناخ والحملات الموسميّة، حيث أوصى ابنه بمهاجمة الأراضي الزّراعيّة للعدوّ واستنزافها في فصل الصّيف خلال مواسم الحصاد ويتّضح ذلك في قوله : "... ينبغي حينئذ أن تغزوه مرّتين في السّنة، وذلك زمن الصّيف والخريف وحين يستوي الخيرات من بلاده... فترحل إلى بلاده فتأكل زرعهم في أول حصاده"[3]، والجدير بالذّكر أنّ تنظير أبو حمو هذا لم يبق رهين دفّتي مصنّفه، فعلى المستويات الميدانية نجده قد "حلّ بفحص حمزة المذكور في إبان حصاد الزّرع ...فأخذ بمخنقهم واجتاح النّاس ما ألفوه بوطن حمزة من الزّرع "[4] في 13 رجب 764هـ/28 أفريل 1363م.

3.1. إحراق الأراضي الزّراعيّة في التّشريع الإسلاميّ:

يصنّف ابن خلدون الجهاد في المقام الثّالث لصور الحرب وأوجهها بقوله: "والثّالث هو المسمّى في عرف الشريعة بالجهاد"[5]، ويشتمل مفهوم الجهاد في الفقه الإسلاميّ على مجاهدة النّفس ومغالبة الهوى، والنّهي عن المنكرات، والصّدع بالمعروف، وزجر أهل الباطل، ثم قتال الكفّار ومجاهدتهم، غير أنّ هذا المفهوم غلب في عرف الشّرع على جهاد الكفّار وقتالهم[6] .

إن المتتبّع للتاريخ العسكريّ بالمغرب الأوسط في العهد الزّياني يلاحظ مدى ارتباط الصّراع العسكريّ بأحكام الجهاد، وهذا ما تثبته دلالات "الشّهادة" التي أطلقت على قتلى وضحايا هذه الحروب، والمعروف أنّ كلمة "شهيد" تطلق على المسلم المقتول في معارك الكفّار وهذا ما اتّفقت عليه المذاهب الأربعة[7]، كما تطلق على قتيل حروب البغي[8] والتّعدي فيأخذ القتيل الأحكام الخاصّة

---

[1] أوصى أبو حمو ابنه –على شاكلة تنظير الحسن العابسي هذا– بإصلاح الزّرع بعد تخريبه في حالة الحرب وضرب له مثالا على ذلك بالوزير سابور الّذي طلب من عدّوه بعد الانتصار عليه بغرس مكان كلّ نخلة قطعها من بلاده زيتونة. فقال له:" فتأمّل يا بنيّ حسن محاولة هذا الوزير وارتكابه في استخلاص كلّ أمر خطير، واجتهد على من يقارنه في الدّهاء والتدبير". الحسن العباسي، مصدر سابق ، ص357. المصدر نفسه، ص ص 111،112.

[2] محمد بن منكلي الناصري، الحيل في الحروب و فتح المدائن وحفظ والدروب، دراسة وتحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 2000، ص386-388.

[3] أبو حمو موسى، مصدر سابق، ص188.

[4] يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص127.

[5] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج4، ص318.

[6] حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، منشورات عكاظ، المغرب، 2010 ،ص49

[7] عبد الرحمان بن غرمان، أحكام الشهيد في الإسلام، دار الجبهة للنشر والتوزيع، [د.م]، 2007،ص82.

[8] البغي هو خروج جماعة من المسلمين لهم قوة وبأس امتنعت عن طاعة الإمام أو رامت خلعه وخالفته بتأويل صائغ فأبت الدخول تحت سلطة الحاكم. مسعودة علواش، النظر المقاصدي في الفكر النوازلي من خلال مخطوط الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا المازوني الجزائري(ت833هـ) مسألة الحرابة أنموذجا، ضمن كتاب –المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل –، تنسيق بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر،2011، ص209.

الخاصّة بالشّهيد، وهذا مذهب الحنفيّة والحنابلة والشّافعيّة[1]، غير أنّ بعض المصادر أكّدت على أنّ ضحايا الصّراع العسكريّ بين الدّولة الزّيانيّة وجارتها المرينيّة والحفصيّة أخذوا نفس الأحكام المتعلّقة بـ"الشّهيد"، وهو ما يوضّحه الجدول الآتي:

الضحايا	المتسبب/السنة	الاستشهاد	الإحالة
أبو تاشفين الأول	أبو الحسن المريني سنة 737هـ/1337م	"إلى أن استشهد رضوان الله عليه"	بغية الرّواد ج1 ص244.
أولاد أبو تاشفين الأول (أبو سعيد وسرحان ويعقوب)	أبو الحسن المريني سنة 737هـ/1337م	"إلى أن استشهدوا جميعا"	بغية الرّواد ج1 ص243.
أبو تاشفين الأول	أبو الحسن المريني سنة 737هـ /1337م	"كان ممن عاش سعيدا ومات شهيدا"	تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ص140.
أبو حمو موسى الثاني	زيان بن عمر الوطّاسي سنة 791هـ/1389م	" فاستشهد رحمة الله عليه"	تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ص181.

تؤشّر القرائن السابقة على أنّ الجهاد كان المؤطّر للحرب بين القوى المتصارعة في المغرب الأوسط الزّياني، ويُصَنَّفُ هذا النّوع من الجهاد في خانة حروب المصالح[2] عند المالكيّة، وعليه فإنّ أحكام وقوانين الحرب السّارية في جهاد المسلمين مع غير المسلمين هي نفسها القوانين الّتي أطّرت غمار الحرب بين هذه القوى في المغرب الأوسط الزّياني، وأهمّ هذه القوانين هي إحراق أراضي المشركين وتخريبها في حروب المسلمين ضدّهم، لذلك فقد لعب التّشريع دور المغذي لاستهداف الأراضي الزّراعية في هذا المجال، وعلى الرّغم من اختلاف[3] الرؤى الفقهيّة حول ظاهرة تخريب الأراضي الزّراعيّة وتحريقها كمظهر مرافق للحرب، إلا أنّ أهل الحلّ والعقد لم يستنكفوا عن إجازة الأخذ بسياسة إحراق أراضي المشركين وتخريب مراكز التّحَصُن الطّبيعي لديهم برمي الأنفاط الحارقة عليها في حالة خوض المسلمين لمعارك ضدّهم[4]، وأنّ العدول عن ذلك يسبّب تعطيلا للجهاد[1]، والمطّلع على حروب النّبي صلى الله عليه

[1] عبد الرحمان بن غرمان، مرجع سابق، ص 84.

[2] يؤكد فقهاء المالكية أن الجهاد مشروع في الإسلام لزوما، وعلى الرغم من أنهم يقرّون أن مناط القتال في الإسلام هو الحرابة والعدوان والمقاتلة وليس الكفر، مما يجعلها حروب عدل غايتها إعلاء كلمة الله، إلا أنهم شرعوا لنوع آخر من الحروب عبروا عنها بمصطلح "حروب المصالح" يسعى هذا النوع من الحروب إلى إعلاء كلمة الملك أو الخليفة أو السلطان على حد تعبير ابن خلدون، وإحقاقا للعدل والأمن داخل جسم الأمة والمجتمع الإسلامي حسب تفسير معظم الفقهاء. حميد تيتاو، مرجع سابق، ص 58.

[3] للتفصيل أكثر حول الإختلاف الفقهي حول تخريب الأراضي الزراعي واستعمال الأنفاط الحارقة أثناء الحرب انظر: الشيباني، شرح السير الكبير، باب قطع الماء عن أهل الحرب وتحريق حصونهم ونصب المجانيق عليها، ج4، ص ص232،221. إحسان الهندي، أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص ص191- 192.

[4] إحسان الهندي، المرجع السابق، ص 191.

وسلم يجد أنّه في حصار الطائف وأمام رمي ثقيف لجيشه بالنّبل أمر بقطع أشجار أعنابهم "فوقع النّاس فيها يقطعون"[2]، كما عدّد الشيباني مظاهر إحراق الزّروع وتخريبها في حروب النّبي صلى الله عليه وسلم وأَمْرِهِ بقطع نخيل خيبر[3]، وقد أجاز صاحب كتاب تحفة الأنفس قطع النّخيل عند انتفاع العدوّ بها و تخريب زروعه، بقوله: " يجوز تحريق أرض العدوّ وزُروعهم ...وكذلك قطع شجرهم وتخريب بلادهم، وفعل كلّ ما ينكيهم إذا رأى الإمام في ذلك صلاحا واستعجالا بإسلامهم، أو ليضعفهم به فيُعين ذلك على الظّفر بهم عُنوة أو صُلحا"[4].

2.الحرب وجغرافيّة استنزاف الأراضي الزّراعيّة خلال العهد الزّياني:

ساعد التّطور الحاصل في الكتابة التّاريخيّة على إثراء مباحث علم التّاريخ، فضلا استحداثه لأنماط جديدة في الكتابة التاريخيّة، فعلى غرار مدرسة الحوليّات الّتي أولت اهتماما بالغ الأهمية لسبر أغوار الدّراسات المتعلقة بالتّأريخ للأزمة، ودراسة التّاريخ الطّبيعي[5]، فإنّ المدرسة العسكريّة الحديثة ذهبت إلى الحفر على مستويات أعمق، بفتحها أفقا أخرى للدّراسات التّاريخيّة واستحداثها لأنماط جديدة تهدف إلى محاولة رصد مختلف التّفاعلات والإفرازات بين الحرب والمجال الجغرافيّ، تندرج ضمن ما يسمى بـ:" الجغرافيا العسكريّة"[6]،وفي هذا الصّدد يقول E.Palka[7] – وهو أحد أعلام هذه المدرسة- : انبثقت الجغرافيا العسكريّة من التّداخل بين الجغرافيا والعلوم العسكريّة وهي في أحد تجلياتها نوع من الجغرافيا التّطبيقيّة الّتي توظّف المعرفة بهذا الاختصاص... ومن جهة أخرى يمكن مقاربة هذا الاختصاص من منظور تاريخيّ أيضا"[8].

ولما كانت سياسة الأراضي المحروقة إحدى أهم التّفاعلات الّتي نشأت بين الحرب والمجال الجغرافي في المغرب الأوسط الزّياني،

---

[1] البشير بوقاعدة، خطة الحصار العسكري في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن هجريين(10-14م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي،إشراف جميلة بن موسى،المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2016-2017م، ص48 . حميد تيتاو، مرجع سابق، ص 52.

[2] ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة 2، 1969، ج3،ص84.

[3] محمد بن حسن الشيباني، شرح كتاب السير الكبير ،تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، تقديم دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، 1997، ج1،ص42.

[4] ابن هذيل عبد الرحمان الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان و محمد فاتح صالح زعل، مركز زايد للتراث والتاريخ، دار البارودي للطباعة والنشر، أبو ظبي، 2003، ص ص 174،175.

[5] للمزيد من التفصيل حول إنجازات رواد مجلة الحوليات في المجالات المذكورة أعلاه أنظر كتاب : جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة:محمد الطاهر المنصورين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

[6] فرنسيس جالجانو و إيوجين بالكا، الجغرافيا العسكرية الحديثة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2014، ص9. سمير ذياب سبيتان، مرجع سابق، ص27.

7 يعتبر العقيد والبروفيسور إيوجين بالكا ضابطا عسكريّا محترفا، وأكاديميّا متخصّصا، وعالما في الجغرافيا، وهو باحث مؤهل استنادا إلى أبحاثه ومنشوراته في الدّراسات التّاريخيّة المعاصرة الّتي توضّح قوّة تأثير الحقائق الجغرافيّة في تخطيط العمليّات العسكريّة. المرجع نفسه، ص 9.

[8] المرجع نفسه، ص 23.

فإنّ تتبّع إفرازاتها بتغطية أهم المدن[1] الّتي تعرّضت للتّخريب والتّحريق يعدّ من الأولويّات التي يجب تغطيتها في هذه الورقة، وأهمّها :

تلمسان:

"عادة ما تؤول الأمصار الّتي تكون كراسي للملك إلى الخراب"[2]، وبدورها تعرّضت تلمسان عاصمة الدّولة الزّيّانية وكُرسيُّ ملك دولة بني عبد الواد إلى العديد من الحروب التي طالت أراضيها الزّراعيّة واستنزفت مواردها الإنتاجية الفلاحيّة، وهو ما يوضّحه الجدول التالي :

المتسبّب	السّنة	الإحالة
يعقوب بن عبد الحق المريني	670هـ/1272م	الاستقصا،ج3، ص 32-33.
بنو توجين	670هـ/1272م	الاستقصا، ج3، ص33. الأنيس المطرب، ص337.
يوسف بن يعقوب المريني	687هـ/1288م	العبر، ج7، ص284.
أبو سعيد عثمان المريني	714هـ/1314م	الأنيس المطرب، ص399.
أبو الحسن المريني	737هـ/1337م	العبر، ج7، ص 335-336.

البطحاء:

تعتبر البطحاء الخصيبة من بين أهمّ المدن المنتجة بإقليم تلمسان، حيث بُنيت على سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة، كما أنّها كانت تُحقّق لملك تلمسان دخلا قدره 20 ألف مثقال[3]، لكنّ الحرب بين الزّيّانيين وبني توجين جعلتهم يحتلّون رقعة كبيرة من مدينة تلمسان، ويدمّرون ويحرقون المناطق الّتي امتنعت عنهم ومن بينها مدينة البطحاء، ويقدّم لنا الوزّان مفارقة بين وضعها قبل هذه الحروب والمآل الّذي آلت إليه بعدها بقوله: " لا يُرى اليوم من البطحاء سوى أسس جدران. ويجري قرب موقعها القديم نهر صغير قليل الأهميّة كانت على ضفافه بساتين وحقول في غاية الخصب"[4].

تيطري: عرفت الفترة الممتدة ما بين 762هـ-783هـ/1361-1381م صراعا كبيرا بين الأمير أبو زيّان محمد الثّائر ضدّ ابن عمه السّلطان أبو حمو موسى الثّاني[5]، ممّا أدّى بهذا الأخير إلى التّحرك إليه سنة 770هـ/1369م بتيطري " ونزل السّلطان بجموعه

[1] ارتبط مصطلح المغرب الأوسط لدى الكثير بالدولة الزيانية لكنّنا إذا تتبعنا تاريخها فلا نجدها قد أخضته كليا إلا في عهد أبي حمو الأول ثم أبي تاشفين الأول الذي استطاعت قواتهما الوصول إلى إقليم الزاب (710هـ/1309م) ودفع بذلك نفوذ الحفصيين إلى الوراء ثم واصل زحفه إلى دلّس والجزائر ومتيجة حتى وصل إلى أصفون وافتك بجاية وقسنطينة من الحفصيين سنة (729هـ،1328م) وتكون بذلك قد بلغت أوج امتدادها. مصطفى إدريس، الروابط الإقتصادية للمغرب مع دول جنوب غرب أوروبا(ق7-10هـ/13-16م)، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2018،ص19.

[2] ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ج2، ص231.

[3] الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص ص27، 28.

[4] المصدر نفسه، ص28.

[5] ابن خلدون ،العبر، مصدر سابق، ج6، ص58.

بجموعه لعود بلاد الديالمة من الحرث، فانتسفها والتهمها وحطّم زروعها وانتهب مداشرها"[1]، كما أعاد في العام الموالي حملة أخرى على ضواحي تيطري لانحياز مخالفيه إلى أبي زيّان "وتذمّمهم بتيطري، فنزل نصره الله ببقود وسط بلادهم، وأطلق أيدي النّهب فيها فلا تسأل عمّا استولت عليه من زرع ومتاع وضرع"[2].

وانشريس:

يعتبر هذا الجبل معقلا لقبائل بني توجين الّتي دارت بينها وبين بني زيّان رحى الحرب لأكثر من ستّين عاما حسب شهادة الوزّان[3]، وقد استهدفت هذه الحروب أراضيهم الزّراعيّة، ففي سنة 686هـ/1287م نهض عثمان بن يغمراسن لحربهم " وحاصرهم بجبل وانشريس وعاث في أوطانهم ونقل زروعها إلى مازونة "[4]، كردّ فعل يحمل دلالة الثّأر على ما قام به بنو توجين بقيادة محمد بن عبد القوي سنة 670هـ/1272م، على إثر تخريبهم وانتسافهم لأراضي تلمسان ذلك أنّهم" لم يتركوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السّدرة والدّوم"[5]، كما أنّ نشاطهم التّخريبي للأراضي الزّراعيّة والمداشر قد تواصل مع قائدهم نصر بن عمر بن عثمان، وفي هذا الصّدد يقول صاحب زهر البستان: " وأخذ في الفساد والخراب ولم يزل يقاتل القبائل ويخرب المداشر والمناهل، لا يراقب الله في دم مسلم، ولا يفرّق بين محسن ولا مجرم"[6].

متيجة:

بعد وفاة يغمراسن سنة (681هـ/1282م) اعتلى ابنه عثمان (681-703هـ/1282-1303م) سدّة الحكم وتولى شؤون الدولة الزّيانية، واسْتَهَلَّ فترة حكمه بالامتثال لنصيحة أبيه الدّاعية إلى تفادي المواجهة بينه وبين المرينيين بعد استفحال ملكهم بحضرتهم في المغرب الأقصى، وصرف وجهه للتّوسع في الجهات الشّرقية، وقد شهد نشاطه الحربي خلال هذه الفترة استخدامه لسياسة التّخريب والتّحريق لإخضاع بعض القبائل والمدن، " فتغلّب أولا على ضواحي بني توجين ومغراوة ... ثم إلى متيجة فانتهب نعمها وخطم زرعها" [7].

المسيلة:

بعد وفاة السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني (710-731هـ/1310-1331م) سنة 731هـ/1331م خلفة أبو الحسن المريني (731-749هـ/1332-1348م)، وقام هذا الأخير باستنهاض أبو بكر بن الأمير أبي زكريا في حركة ليسترجع

[1] المصدر نفسه، ج7، ص175.
[2] يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص217.
[3] الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج2، ص45. ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج7، ص206.
[4] المصدر نفسه، ص211.
[5] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، مصدر سابق، ص132.
[6] مجهول، مصدر سابق، ص 70.
[7] ابن خلدون، العبر، المصدر السّابق، ص123. وعن موقعها انظر: حسن الوزان، ج2، ص 251.

أعماله، فقام بإعداد العدّة وسيَّر جحافله نحو حصن بني زيان "تيمزردكت" وخرّبه، ثمّ "ارتحل غازيا إلى المسيلة حتّى نزلها واصطلم نعمها وخرّب أسوارها"[1].

حمزة:

بعد فرار أبي زيان غريم السلطان أبو حمو موسى الثّاني إلى وطن حمزة أنهض أبو حمو وزيره عبد الله بن مسلم في عساكر لا تحصى للتّضييق على ابن عمه محمد قصد أسره أو طرده من وطن حمزة، منتهجا التّنظير العسكريّ القائل" كلّ موضع يمكن قطع الماء والميرة عنه فهو مأخوذ لا محالة"[2]، ومطبّقا للوصيّة الّتي أوصاها لابنه حين قال له: " ينبغي حينئذ أن تغزوه مرّتين في السّنة، وذلك زمن الصّيف والخريف وحين يستوي الخيرات من بلاده... فترحل إلى بلاده فتأكل زرعهم في أوّل حصاده"[3]، وهذا ما نجد له وقعا في هذه الحملة، إذ سار الوزير في 13 رجب 764هـ/ 28 أفريل 1363م " إلى أن حلّ بفحص حمزة المذكور في إبان حصاد الزّرع ...فأخذ بمخنقهم، واجتاح النّاس ما ألفوه بوطن حمزة من الزّرع والقائمة حصيد، وانتهبوا ما أدركوه "[4].

وهران:

بعد أن استتبّ الأمر لأبي حمو الثاني بتولّيه لحكم تلمسان سنة 760هـ/1359م، قام بإحكام سيطرته على كافّة المناطق الّتي خلعت الطّاعة ما عدا الجزائر ووهران، لما ظهر منهما من الممانعة[5]، مما أدّى بأبي حمو إلى التّفكير في شنّ حصار اقتصادي على البلدين بضرب فساسطيهما حتى يضعف أمرهما وتسهل السّيطرة عليهما، ويقدّم لنا صاحب زهر البستان تحليلا دقيقا لتخطيط أبو حمو الدّاعي إلى شنّ هذا الحصار الاقتصادي بقوله: " أعلم أنّ أبو حمو، جمع دهاء الملوك الأوائل ... وذلك أنه نظر بعين الهافة في بقاء هذين البلدين. فرأى أنّ بناءهما من عمي العين، وسببا للجبن، فأخذ ينظر في تحميم باديتهما في الفور، قبل أن ينشأ عنهما آفة بصير. وأنّه إذا تملّكهما كان أقوى لسلطانه، وإذا تركهما بقي الخلل في أوطانه"[6]، وقد ترتّب على هذا التّخطيط أن قام أبو حمو حمو بالإغارة عليها من طلوع الشّمس إلى غاية صلاة الظهر في (8 شوال 762هـ/11 أوت 1361م) منتهجا في ذلك سياسة التّخريب وإحراق الأراضي الزّراعيّة بوهران " فأظهر عليها أعدادا وكتائب، وظرب الفساسيط والمضارب"[7].

---

[1] ابن خلدون،العبر، مصدر سابق، ج6، ص499.

[2] الحسن بن عبد الله العباسي، مصدر سابق ، ص364. وهو نموذج عملي يؤكد استفادة أبي حمو الثاني من النظريات العسكريّة الواردة في كتاب اثار الأول في ترتيب الدول، كما يدعم الطرح الذي قدمه محقق كتاب واسطة السلوك حول استفادة أبو حمو من الكتب التي سبقت عصره والتي تميزت بالنزعة السياسية والعسكري وشؤون التّدبير.

[3] ابو حمو، مصدر سابق، ص188.

[4] يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص127.

[5] مجهول، مصدر سابق، ص 130.

[6] المصدر نفسه، 132.

[7] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

قسنطينة:

تعرّضت قسنطينة بحكم موقعها الّذي يعتبر حدّا متقدما من حدود الدّولة الحفصية[1] إلى العديد من الحملات التي أتت بالخراب على أراضيها الزّراعيّة، فقد أثخنها سنة 726هـ/1326م موسى بن علي الغزّي على عهد أبو تاشفين الأوّل بالتّخريب ونهض إليها بجيوشه "وأفسد بقطرها الزّرع والضّرع"[2]، وتواصلت هذه العمليّات التّخريبيّة سنة 753هـ/1352م في حروب الأمير أبو زيد صاحب قسنطينية عندما استولى أبو محمد بن تافراكين على حكم تونس، فقام أبو عنان في هذه السّنة بالتحرك إلى قسنطينة " بمداخلة أبي محمد بن تافراكين واستجاشته، ونازل جهات قسنطينة، وانتهب زروعها وشنّ الغارات عليها وفي بسائطها..."[3]، كما كان للخلاف النّاشب بين الأمير إبراهيم صاحب قسنطينة مع يعقوب بن علي كبير الزواودة سنة 790هـ/1388م بسبب امتناع إبراهيم عن ردّ العطاءات الّتي كان يأخذها من الزواودة وإخلافه لوعده بإرجاعها بعد عودته من حركته إلى قابس، أثره أيضا على تخريب أراضيها حيث "خرج يعقوب من التّل... وانطلقت أيدي قومه على تلول قسنطينة بالنّهب وانتساف الزّرع حتى اكتسحوا عامتها"[4]، وقد شهدت الفترة بين سنتي 796هـ-797هـ/1394-1395م أيضا نفس العمليّات التّخريبية إذ قام الأمير أبو عبد عبد الله صاحب بونة بتأليب من أحمد بن الكماد بالهجوم على قسنطينة فنزل " البلد في يوم الخميس السّادس لذي القعدة من عام ست وتسعين وسبعمائة، ومنع الواصل والدّاخل وقطع الأشجار"[5] كما " عاد في السّنة الثّانية إليها فخرّب المنازل، وهتك الزّرع والمناهل"[6].

بجاية:

بعد عامين من اعتلاء أبي زكريا بن أبي إسحاق سدّة الحكم (684-700هـ/1285-1301م) واستحكام قبضة على بجاية بمساعدة أبو الحسين بن أبي بكر بن سيد النّاس[7]، قام عثمان بن يغمراسن بالاستجاشة ضدّه وحرّك جنده نحو بجاية سنة 686هـ/1287م، ويتّفق كلّ من يحي بن خلدون والتّنسي على استهداف هذه الحملة لأراضي بجاية الفلاحية، إذ قال يحي بن

---

[1] يؤكدا ابن خلدون على أن قسنطينة وبجاية كانتا جدار صد يهدف إلى عرقلة تقدم الزيانيين نحوم الجهات الشرقية فعندما أوقع السلطان أبي عنان ببني عبد الواد سنة 753هـ ونجى فلّهم إلى بجاية أوعز أبو عنان إلى أمير بجاية أبي عبد الله الأمر بالتّضييق عليهم واعتراضهم بتلك الجهات فأجابه إلى ذلك. إبن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص ص 532،533.

[2] يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص241.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص532.

[4] المصدر نفسه، ص577.

[5] أبو العباس أحمد بن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تقديم وتحقيق محمد الشاذلي و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص 191.

[6] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[7] صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي،دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، تونس، 2006،ص ص 70،71.

خلدون : "وفي جمادى الأولى من سنة ستّ وثمانين، نزل بجاية فقطع جنّاتها، وأحرق قراها وقفل"[1]، وفي نسق توافقيّ؛ يؤكد التّنسي: " ثم نزل بجاية وقطع جنّاتها، وحرق قراها"[2].

خاتمة:

بناءً على ما تمّ بسطه في هذه الورقة، أفضى بنا البحث إلى طرح مجموعة من الاستنتاجات يمكن توضيحها في النّقاط الآتية :

- استندت القوى العسكريّة في المغرب الأوسط خلال العهد الزّياني إلى الاستثمار في المقوّم الطبيعيّ وانتهاج سياسة تخريب الأراضي الزّراعيّة وإحراقها كاستراتيجيّة حربيّة تهدف إلى إفقار العدوّ اقتصاديا واحتوائه نفسيّا، حتّى تسهل السّيطرة عليه، وعليه فإنّ طبيعة الحرب في المغرب الأوسط خلال العهد الزّياني لم تقتصر على أساليب المواجهة المباشرة فقط، وإنّما عزّزت هذه الصّدامات العسكريّة المباشرة بحرب الاستنزاف لضمان فاعليّة العمل العسكريّ.

- لعبت العديد من العوامل دور المغذّي لانتهاج هذه السّياسة الحربيّة خلال العهد الزّياني؛ فعلى مستوى التّشريع والتّنظير الحربيّ للمدرسة العسكريّة الإسلاميّة فإنّ خطاب استنزاف الأراضي الزّراعيّة كان خطابا مباشرا لتلافي الهزيمة بمختلف صورها، علاوة على ذلك فإنّ النّمطيّة الحربيّة للقادة العسكريين في المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الزّيانيّة واستنادهم إلى سياسة الاستنزاف في حالة الحرب شكلّت –بمحدّداتها التّاريخيّة والجغرافيّة– مرجعيّة عسكريّة ونموذج تقليد مثّل العهد الزّياني أحد تجلّياته على المستويات الميدانيّة.

- أَشَّرَت المصادر – على اختلاف طبيعتها– على حضور هذه السّياسة خلال العهد الزّياني خاصّة في طور النّشأة وعصر الازدهار، فعلى غرار العاصمة الزّيانية تلمسان فإنّ الممارسات المتعلّقة بهذه الاستراتيجيّة الحربيّة طالت العديد من المدن مثل: البطحاء، تيطري، وانشريس، متيجة، وهران، حمزة، بجاية، وقسنطينة، والملاحظ أنّ وطأتها كانت أشدّ وأعنف في القرنين السّابع والثّامن هجريين، لتشهد تراجعا ملحوظا مع نهاية حكم السّلطان أبو تاشفين الثّاني خلال نهاية القرن الثّامن.

على غرار الشّذرات الواردة في هذه الورقة لمحاولة استجلاء ظاهرة إحراق الأراضي الزرّاعيّة وتخريبها كمعيار لتحقيق النّصر في الحرب خلال العهد الزّياني، إلّا أنّ المجال يبقى مفتوحا لتبنّي رؤية شاملة تهدف إلى حصر معايير الغلبة خلال حالة الحرب، استنادا إلى المناهج العلميّة المعاصرة، للوصول إلى مقاربات تاريخيّة رصينة، فابن خلدون –المعاصر لهذا العهد– يرى" أنّ الظّفر في الحروب إنّما يقع بأمور نفسانيّة وهميّة، وإذا كان العدد والسّلاح وصدق القتال كفيل به لكنّه قاصر مع تلك الأمور الوهميّة"؛ وفي ذلك تنصيص ودعوة لاستعانة المؤرّخ بمآخذ مساعدة؛ كعلم النّفس والاجتماع العسكريّين لاستجلاء ملامح وفصول التّاريخ العسكريّ المغاربيّ خلال العصر الوسيط، وتلك مساحات بحثيّة نرجو أن تحظى باهتمامات المؤرّخين.

[1] يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 230.

[2] محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود آغا بوعيّاد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص129.

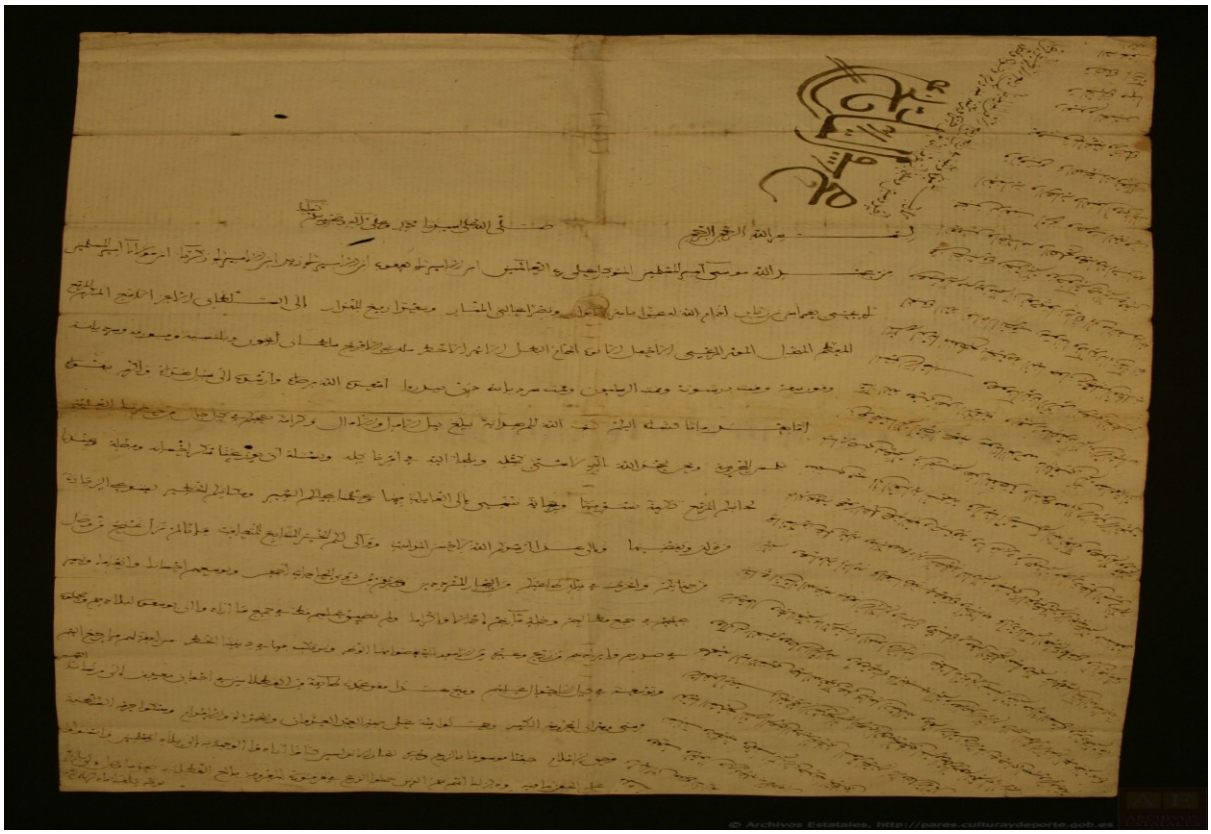

نص الرّسالة:

من عبد الله موسى أمير المسلمين الموكّل على ربّ العالمين أبن الأمير أبي يعقوب إبن الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي زكريا ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيّان أدام الله له عزّا باهر الأنوار ونصرا عاليَ المانار وسعدا رفيعا المقدار إلى السّلطان الأعز الأمنع المكرّم المرفّع المعظّم المبجّل الموثر المرعى الأحفل الأنوه الهُمام البطل الأشهر الأخطر ملك بني الغفرنج سلطان أراغون وبلنسية وميروقة وسردانيّة وقورسغة وقُمت برشلونة وقُم الرّسليّون وقمن سرديانة دُن بيدرو أسعده الله برضاه وأرشده إلى سبيل هُداه وأكرمهُ بتقواه.

أمّا بعد، فإنّا كتبناه إليكم كتب الل لكم هِداية تبلغ نيل الأمل والآمال وكرامة تصحبكم في كلّ حال من حضرتنا العليّة بتلمسان المحروسة ونحن نحم الله الّذي لا شيئ كمثله ونلجأُ إليه في أمرنا كلّه ونسأله أن يوزعنا شكرَ إحسانه وفضله وعندنا لجانبكم المرفَّع تكرمةً نستوفيها ورعاية ننتهي إلى الغايات فيها، وعلمُنا بمحلّكم الشّهير ومكانكم الخطير يستدعي الزّيادة من ذلك ويقتضيها وإلى هذا أرشدكم الله لأحسن المذاهب وأولي لكم الخير المتتابع المتعاقب.

فإنّا لم نزل نمنح من وصل من جهاتكم وانخرط في سلك طاعتكم من التّجار المتردّدين وغيرهم من ذوي الحاجات أجمعين ونوسعهم إحسانا وإنعاما ونُيسِّرُ عليهم في جميع مطالبهم وجملة مآربهم إجمالا وإكراما، ولم نضيّق عليهم قطُّ في جميع ما أرادوا أن يُوسِقُوه

[1] مؤرّخة في 23-02-1360م الموافقل لـ 04 ربيع الثاني 761هـ، هي رسالة سلطان تلمسان إلى بيدرو الرابع ملك أرغون ، تتضمّن شكوى عمليات القرصنة القطلانية في ميناء وهران

لبلادهم ويحملوه في صدرهم وإيرادهم من زرع وغيره من الأمور الّتي يقضون منها الوطر ونرتكب فيها في ديننا الخطر مرافقة لهم فيه أُرجع إليهم وتوسعة في كلّ الأحوال عليهم، ومع هذا فد عمدت طائفة من القطلانيين في أجفان معدِّين إلى مرسانا الشّهير مرسى وهران المحروسة الكبير، وحملوا منه على جهة العمد العُدوان والجرأة والإقدام وهتكوا حُرمة السّلطنة وحقّ الإسلام جفنا مَوسُوقًا بالزّرع وغيره للتّجار الأندلسيين كانوا أرادوا الوجه به إلى بلاد المسلمين، واستولوا على الجفن بما فيه، وذُكر لنا أنّهم كُلّهم الّذين حملوا الزّرع في القرقورة المعروفة بالجي القطلاني، بعدما وصل إلى بلادكم توجَّه تلقاء ما ذكرناهُ لكم.

فلمّا رأيناه أنّ هذه النّازلة وقعت وأحوال من يَرِدُ علينا بالأجفان تَشَتَّتْ وتَشَعَّبت وجّهنا لكم الآن خديمنا الحظيّ لدينا الشّيخ المكرّم المرعى الوجيه الحظيّ المَوَقَّر المحْرَمَ الأفضل الأكمل الأمجد أبا عبد الله محمد بن الشّيخ المكرم المرعيّ الوجيه الحظيّ المبرور المَوَقر المرحوم المُغمّر أبي الزُّبير طلحة البَاتِشلي حمله الله على كاهل السّلامة وبلَّغه الأمن والأمان في حالي الممرّ والإقامة ووالى له الخير ووصل له الكرامة، وأودعناه ما يُنهيه إليكم من مقاصد الإكرام والبِرّ المُوفَّر الأقسام ليُخاطبكم بهذه الأحوال ويُطالعكم بما لكم من عندنا من القبول والإقبال، علما بأنّ ذلك يستنزل منكم منزلة المسرّة ويَرُدُّ عنكم ما يُكافئ إن شاء الله عنه بموصول الإكرام والمبرّةِ، وحملناه من معنى الصّلح بيننا وبينكم ما يُلقيه إن شاء الله مُشافَهةً إليكم وُمحاولة إبرامه والمفاوضة في عقده وإحكامه وأردنا منكم العناية بأمره، وأن تُعاملوه ما تُشكَرون على بذله وما يكون ف ذلك من المصلحة لنا ولكُم فشيئٌ لا يخفى عليكم ولا يغيب عنكم فلتتقوا ذلك بحقّه محمولا على صحّة الحقّ وصِدقهِ.

وكُلُّ ما يَرِدُ من جِهتكم فوارد على البرِّ والتّكرمة فننهي فيه إلى الغاية المتمِّمة ورأينا أرشدكم الله تعالى وهَداكم ووفّقكُم لِما يرضى به عنكم من تَتْميم هذا المقصد والبُلوغ مِنه إلى الأمد الأبعد إن شاء الله وجَّهنا لكم أيضا صُحبة رسولنا المذكور ما يُلقى لكُم مشافهة إن شاء الله معنى هذا الكتاب ويُقرِّرُ ما عندنا لكم من الإيثار الميَسّر الأسباب، وهو قايِدُنا الكبير المرعيُّ الخطير المُكرَّمُ لدينا المُنقطعُ بالخدمة إلينا جُوان بربجلين القطلاني أنجدَهُ الله، فإذا انصرف رسولنا وقايِدُنا إن شاء الله من عِندِكُم فنُريد مِنكم أن تُوجِّهوا زيادة إلى ما تُلقونه إليه ممَّن تتخيَّرونه من خُدّامكم ومن خواص رِجالكم في معنى العَقدِ وأَحكامِه والصُّلحِ ومحاولة إبرامه، فنحن نَرتقِبُ أُثرَهُ ونَصْرف إليه من العناية والرِّعاية والقَبُول أَوْفَى ذلك وأَوْفَره، والله سبحانه وتعالى يُوفِّقُ لما يُحبّه ويرضاه، ويُقدّم الخير والخيرة فيما قضاه إن شاء الله بحول الله لا ربَّ لنا سِواه.

وكُتب في رابع ربيع الأوّل المبارك بل ربيع الآخر الّذي من عام أحد وستّين وسبعِ [مائة] عرفنا الله تعالى خيره وبركتهُ بيمنه وكرمِه وحَولِه وفضله.

صحّ في التّاريخ.

قائمة المصادر:

1. ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي(ت726هـ/1326م):

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، 1973.

2. ابن الأثير أبو الحسن علي(ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
3. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل (ت810هـ/1408م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.
4. ابن القنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد (ت810هـ/1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.
5. ابن خلدون أبو زكرياء يحي(ت780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2011.
6. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان (ت808هـ/1405م) :

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ،2000.
- المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي،بيت الفنون والعلوم والآداب،الدار البيضاء، المغرب،2005.

7. ابن عذاري المراكشي(ت بعد 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب –قسم الموحدين–، تحقيق محمد إبراهيم الكتّاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
8. ابن منكلي محمد الناصري (ت بعد 778هـ/1376م)، الحيل في الحروب و فتح المدائن وحفظ والدروب، دراسة وتحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 2000.
9. ابو بكر الطرطوشي(ت520هـ/1126م)، سراج الملوك،المجلد الأول، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، الدار اللبنانية المصرية، 1994.
10. أبو حمو موسى الزياني(ت791هـ/1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود بوترعة، دار الشيماء ودار النعمان للنشر، الجزائر، 2012.
11. تقي الدين بن علي المقريزي ،اتعاظ الحنافا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال،مطابع الأهرام التجارية، مصر، ط2، 1996.
12. التنسي محمد بن عبد الله (ت899هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود آغا بوعيّاد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011.
13. الدرجيني أبو العباس أحمد (ت670هـ/1271م)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاى، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.
14. الشيباني محمد بن حسن(ت189هـ/804م) ، شرح كتاب السير الكبير، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، تقديم دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.
15. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م) ، تاريخ الرسل والملوك، ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1969.
16. العباسي الحسن بن عبد الله (ت710هـ/1310م)، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، 1989.
17. عبد الرحمان بن هذيل الأندلسي(ت ق8هـ/14م)، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان و محمد فاتح صالح زعل، مركز زايد للتراث والتاريخ، دار البارودي للطباعة والنشر، أبو ظبي، 2003.

18.مؤلف مجهول(ت بعد 764هـ/1362م)، زهر البستان في دولة بني زيّان، تقديم محمد بن أحمد باغلي، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة 2، 2011.

19.الوزان الحسن بن محمد الفاسي (ت947هـ/1550م)، وصف إفريقيا، ج2،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

- **المراجع:**

1.إدريس مصطفى، الروابط الإقتصادية للمغرب مع دول جنوب غرب أوروبا(ق7-10هـ/13-16م)، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2018.

2.برنشفيك روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن م13 إلى نهاية القرن 15م، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

3.بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، تونس، 2006

4.بن غرمان عبد الرحمان ، أحكام الشهيد في الإسلام، دار الجبهة للنشر والتوزيع، [د.م]، 2007.

5.تيتاو حميد ، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، منشورات عكاظ، المغرب، 2010.

6.جوزيه دي كاسترو، جغرافية الجوع، ترجمة زكي الرشيد، مراجعة محمود موسى، دار الهلال، 1946.

7.الحريري محمد عيسي، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الداخلية والخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ-296هـ) ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثالثة 1987.

8.سبيتان سمير ذياب ، الجغرافيا العسكرية، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن،2012.

9.علواش مسعودة ، النظر المقاصدي في الفكر النوازلي من خلال مخطوط الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا المازوني الجزائري(ت833هـ) مسألة الحرابة أنموذجا، ضمن كتاب –المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل-، تنسيق بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر،2011.

10.فرنسيس جالجانو، ايوجين بالكا، الجغرافيا العسكرية الحديثة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2014.

11.لوغوف جاك ، التاريخ الجديد، تر:محمد الطاهر المنصورين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007

12.نبهان يحي ، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا للنشروالتوزيع، الأردن،2008،.

13.الهندي إحسان ، أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993.

- **رسائل الدكتوراه:**

1.بوقاعدة البشير ، خطة الحصار العسكري في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن هجريين(10-14م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي،إشراف جميلة بن موسى،المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2016-2017م.

2. بولعراس خميسي ، فن الحرب بالغرب الإسلامي عند المرابطين والموحدين، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، إشراف كمال بن مارس، جامعة الحاج لخضر، قسم التاريخ وعلم الآثار، باتنة، 2013م-2014م.